ورد أسود

ورد أسود

خالد خشان

تصميم الغلاف: عمرو الحو

رقم الإيداع: 2017/25965

I.S.B.N:978- 977- 85348

الطبعة الأولى 2018م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

خالد خشان

ورد أسود



طفولة آدم

كم بعيدة طرق الطفولة المعبدة

كم قريبة طرق الموت ...

(جان دمو)

طفولة آدم

من ثقب رصاصة
في القلب
تركته لي الحرب
أنصب بؤبؤ العين
في حقول روحي.
***

وجهي ألف الحروب
وجهك ألف العصافير
تمرين على قامتي
أسوة بالشظايا .
***

من أبواب الطفولة
المغلقة بوجوهنا
إلى المنحدر
متراصفةً دروب أعاليك.
***

حوائي
لقد اطمأنت أطرافي لمساميرها
وإنكِ تنتظرين
بزوغ آدم المعلّق في صليبه
قد تكونين ممسوسةً بالوهم
وقد تكونين العاصفة التي اقتلعت الصفصاف يوماً
وألقت الطفولة في النهر
وبقيت أبحث بلا طفولة
عن الطفولة
طفولتي كانت بحجم القمر.
***

أجترّ السجائرَ
وِتجترّ الأمنيات سنواتي
لذلك
سوف أنام بعين واحدة
خوفاً من الشيخوخة تبلع جثتي
فأنا قصبة بردي
جذوري في عمق المياه.
***

تنحدرُ النارُ
من نُسْغِ أسلافي
أغلق النوافذ
المطلة على المقبرة
أتوسل بالباب أن يتريث
قبل الرحيل .
***

يا شجري الراكض
نحو الذبول

تمهّل

سأقفُ

في منعطفٍ قريب

ريثما تمرّ

سأرفع قبعتي

لأحييك

بدمعة.

***

كل دروبكم

تؤدي إلى روحي

فمن وضع

علامات التوقف؟

وأجّل الوصول؟

***

نقياً

كجناح يقطر دماً

فيه رائحة الحقول

والسماواتِ البعيدة

أنتَ

أيها القلب.

***

من أجل ما تبقى

استديري نحو تلك الأيام

وحدقي

لقد غاب كل شيء

كل شيء.

***

أنهض من موتي

أسحب جثتي خلفي

وأعلق عيوني

على بوابة الأفق

فقد أينعت زهرة الموت

فأين توابيتهم؟

***

بعيداً

طارت العافية

في بالونٍ

وتركتني تلميذاً وحيداً

عند (أيوب)

يعلمني الصبر

على بساطٍ من مسامير.

***

- أ -

سأسكر

حتى أعثر

على صحوتي.

- ب -

منْ أيقظني من صحوتي؟

وصبَّ فوق رأسي

نهاراتٍ لا تنتهي .

***

جزم القلب

ألا يفتح لأحد

لكن الرسائل

أذابت

ألواح الباب.

***

يسقط هذا الحب عمودياً

كشمسٍ ساطعةٍ

وعميقاً يدلف

ولا اختيارلك فيه

كالحياة .

***

حوائي

هاتِ فمك

قبلاتك

تزيد الحياة وضوحاً

في عيوني.

النجوم البعيدة

كدت ألمسها

سكبت

فوق رأسي

سنيناً من تعب.

****

أقصى

ما أبتغيه

أن أترك

قلبي على بابكم

يتدلى

كنجمةٍ وحيدة.

****

مودتي ورقٌ مقوى أتلفها المطر

تفتت وجرفتها الأنهار

رغم أن صوتي لازال حياً.

****

لم يبق منهم إلا أنا

لم يبق مني

إلا الشوق.

***

حينما

قررنا

أن نبدأ من الصفر

بدأنا من الحانة

هامت أرواحنا بخمرتها

نسينا كل الأرقام

وتشبثنا بالصفر

احتضناه

بكيناه

لكننا لن نغادره

أبداً .

***

أعرف

أن طائرات (الأباتشي)

لا

تخطئ

لكنها لا تميز

لذلك

أنا أبحثُ عن اسمي

في لافتات الموتى

كلّ يوم .

***

كل

الذين اجتازوا

الحدود

بعربات الغربة

سقطوا

في هاوية الحنين.

***

أتدلى من ذراع الوقت

وأحدق بالعابرين .

***

العاصفة

تلغي أثر الرسائل

الموتى

لا بريد

اليوم

لهم.

***

الآن . حتماً

ستولد امرأة

عارية الصدر

من مخاض الظمأ

القاتل في الغربة

تحاور نجمي الآفل

وتسأل عن خطوات الروح

وعن هذيان الشاعر
قبل أن تفتح باب القلب
و
ت
د
خ
ل .
***

الجرح أول القصائد
و (الخمرة) ترياق الدم
وأنا سليل الحانات
نسفاً بنسغٍ
ممتداً من وجه النادل
إلى ضفاف الجنوب
ألا يأتي الجنوب في طرود البريد؟
يزيح المحطات التي سكنت وجوهنا
ويوزع دفئاً
وحلوى الطفولة

يا طيور النوارس تقصّي الجنوب

تسلقي حروف الجنوب

النازفة نحو الجنوب

وخذينا

قرابينَ

قناديلَ

شجراً يتوضأ بماء الفرات.

***

ما أقربك يا واحة الرماد

ما أبعدك يا حانة

من آخر فندق غادر وجهي

ومن أول رصيف ارتدى خطوي

أعثر على بئر عطشي .

***

هذا الفردوس لي

أنا المبارك

غصن الأرض الأخضر

منطفئاً ساعة جمعكم

مضيئاً في وحدتي.

***

غضون

ثآليل

دمامل

لافتةٌ لصقت على جبين الوجود

تسيل فوقها

أسراب قمل من قاع النخاع

فالروح صحراء غريبة

ونحن تماثيل الخليقة

تائهون يجرجرنا الزوال إلى الزوال

تفضي بنا أيد غريبة

خارج الأفق .

***

جفلت أحراشي

واستعرَّ في قدومك موقد أيامي

هذا نايك الحنون

يوقظ وردة الودّ

بعد أن غطتها الرمال .

***

هناك في البصرة

سكبنا أعمارنا دمعةً دمعة

على سُرفِ الدبابات و في البارات

ثم رجعنا كحقيبةٍ فارغة، مهملة.

***

عاريةً

يقشرها الصدأ

تُمزق صاريتها الريح

هذه الشيخوخة

لا تستحق المجد.

***

صوتٌ مشع بالجفاف

لاجتياز ليلٍ بلا بديل

الأرامل افترشن مرمر القلب المعتم

أخذ الليل

يثرثر حتى نضب .

***

الوقت

آخر المطارق

يطرق أجسادنا

الناحلة كالمسامير

كي ندخل قبورنا مبكرين.

***

أردت أن أغنيكِ

بشغف الأطفال

فتعثرتُ بالشظايا .

***

القاع
سبخ الدمعة
ونحن المقذوفون نحو القمة .
لا ندرك أُلفة الذؤابات
فتهطل
إلى حنينٍ سابق
جنوباً
جنوباً
نحو الطفولة.
***

عندما تكون البلاد
مثل ربة بيتٍ خائبة
ينثلمُ القلب وتدمى عيون الضحايا .
***

بارتفاع الجثث
باتساع الألم
لا أحد يشكك بانتصاركِ أيتها البلاد !!

هذا القلب

امْتَلأَ بالشتائم، دفعته إليك يا الله

أعطني غير هذا النزق الأخرق

أصبح كحسرةٍ قديمةٍ معلقة على شباك غرفتها

أصلحه إن شئت

أو اركله، أبدله بقلب جنديّ مات صبراً

لا أريده قاسياً وسافلاً كرصاصة

ولا أريده كدمعة أمّ ثكلى

يا رب أريده سعيداً

ليس من أجلي

من أجل امرأةٍ هناك .

خاتمة الطفولة

آه لو أن العمر

كان بالمقلوب

لكانت الطفولة

أجمل خاتمة.

إكليل شوك للطفولة

أمحو عثراتي بقماط طفولتي

تاركاً خطو الأيام المسكونة بالجوع

بادئاً بصراخ مرّ

ولي ذكرياتٌ لهمس الشفاه

لحثيث المارة

للعائدين صوبَّ زوجاتهم

للمقهى

أبتلِ بأمانٍ خرافية

لكي لا يضيع صهيلي

أنا المحتشد أمام غيابكِ

تاريخٌ طويلٌ من بكاءٍ عتيق

من النوافذ

أجيء مراراً للمصاطب المهملة

للأحزان التي خلفتها القطارات

لذكرىً مشردة .

صباحات الجنود

روحي غيمةٌ زرقاء

تمطر ربيع شوقٍ

لعشب نهديك

حيث صوتكِ المتساقط

بين تراب الملاجئ

وبين المدن المضيئة والخنادق

ينأى هذا الصباح مبكراً

مع البريد الذي لا يجيء

لذلك سأفترش مواويل الروح

حدّ المساء

مبتدئاً بعينيك

حيث تمر الصباحات التي لا تعود

تلك الساعات المسكونة بالحنين

وحيثما تكونين

لا سبيل إليكِ

لا سبيل إلي

سوى صباحات الجنود

صباحات الرصاص

صباحات الحروب.

غربة

1

يطفئ سراجه وينام

يتركني وحيداً في الظلمة

أناديه بكل الكلمات الخضراء

2

مقيماً في حبك

سأمضي حراً

طيراً شاهقاً بالوجد

3

ثملاً أهبط إليكِ

بوجهي المهدوم بالغربة

يا قلب

كنت كريماً

فمن أدخلك صفائح البخل

وأوقف الشوق؟

حبر التصحيح

في لجّة الأخطاء

الناس

الصراصير

الورود

الخفافيش

الكل يتسكع

بالأخطاء

التي تنسى الطرقات

وبدراهمَ مضاءة في وجه صبي بلغ الشيخوخة

في خضم افتراضات الجوع، السياط

العمر، الرغبة .... قبلاتٌ محمومة

الذنوب .... النفايات

حبر التصحيح الذي لا يجدي نفعاً

خطوط حادة مع دموع كهولتنا

القرويون البسطاء أحلامهم الواسعة

وأغانيهم ... الدم

كلها تمحى عند منحنيات الأخطاء راكعة بذل

تحت حبر التصحيح

الذي لا يجدي .

باب غودو

أي فصول هادنت
وأي حلم تثاءب مرة من نومه
واستنهض قامة أمنية واحدة
أي فصول خفتت
تحت الهراوة وغصن لم يكتمل نضوج الوقوف
كنت أنا عند بابك مصلوباً،
سالت عظامي فوق الصليب
حيث يقشرني نهارٌ متراصف السكاكين
يبدأ من حاشية الحلم إلى حافة القصيدة البعيدة
ومن وجهكِ الذي ابتلعته المدن
أحصيك من الصفر يا تصحراً ملأ صندوق البريد
إن زوبعة من حنظل أيامي تتفتق الآن على الإسفلت
فدعني يا غودو
دعني أيها الندي بالحلم

أرتقي يابسةً في هذا الخواء

لإحتواء النصل حدّ الأمان

فقد تلفعت بظلي باتجاه وجهك الذي لا يجيء

سأركن رأسي

إلى مغيب هائل فوق دكة بابك يا غودو .

محاولة لتدوين وجه نادية

قبل العزاء كانت عيوني

ممراتٍ طويلة تبحث في الظلمة

عن طائر مرّ من هنا

مرّ قريباً من القلب

وترك أغنيةً لتلك السيدة

ذات القبلة الثلاثية

التي ماتت على أكتافها الأشجار

ومازالت تنتظر الغريب

ربما تدرك عيوني

أن العمر الذي حلق عالياً بشيخوخته

لن تدركه سوى يدكِ ...

تلك هي روحي الوجلة

علّمها الجنوب الهوى

وعلّمتها الحروب الفزع ...

أدون وجهكِ في كل الشوارعِ وأرددك مراراً

مثل أغنية محببة يرددها السكارى

لذلك ألتجئ دائماً إلى أقرب المصاطب

أشاركها الوحدة بدخان سيجارتي

وهو يتمزق كالسنوات وأقول لِم افترقنا هكذا

أي وحدة عصرتكِ الآن وعصرتني

أي حزنٍ اكتوى به وجهكِ

وأذبل ورد الشفتين

هكذا أدنو من شوارعِ غيابكِ.

أيام الشجاعة

موغلاً

هكذا دائماً أعد نهاراتٍ لا كما تمنيتها

أزيح وجوهاً غريبةً عن سمائي

روحي أنيقة بأناقة النار

حلمي ترياقٌ لدمي، أتوجُ ظلي بأكاليل الطفولة

أتبرك دوماً عند الأقاصي، عند أعتاب الشجاعة

في سنواتي الشاسعة

غريبةٌ هي الخطى في الممر

غريبةٌ هي الدموع التي تنقر زجاج النافذة

وحيداً أرسيت روحي عند ضفافكِ.

قصائد مستعملة

أطلس

كنت أمـــطُّ طموحي

أقصى ما أستطيع

عسى أن يصل مبكراً

إلى ما تصبو إليه روحي

عَبِقٌ أنت يا طموح ...لا تغفُ

مستيقظاً كما القلب

يا فيض يدي وحماقاتها

وهي تتكئ على سياج الإسطبل

أنا ميراثك كما تدعي

ومأتمك الأبهى كما أدعي

ذلك وضوحٌ حثيث

لا تجيده يدٌ مشلولة وفم أدرد

ولا ما يتداولهُ الصبية من جملٍ

مبتورةٍ لا يفهمون مغزاها

لا شيء هناك سوى

أطلسِ البور بين أيديهم.

أعوّل على صداقة كتفكِ

من أسدل مسراتكِ وطوى مراعيكِ؟

غيرةٌ من غيمةٍ تشبهكِ

تناثرت في سمائك!

وكطريقٍ يبتعدُ مثل نسيانٍ خفيفٍ يرتفع ...

أنتظر مطرَ أيامك

وأعوّل كثيراً على صداقة كتفكِ.

أنتِ

قلبكِ الثمل عُلق من جناحيه للذكرى
هل أنتِ ما تمنته القصيدة
وما أنشدته مسراتُ فيضكِ؟
ومن مزاياك أنك تغفرين
باخضرار ضفتيّ يديكِ.

صحراء غرفة النوم

وماذا عن يدها

وهي تترك كل ما تحمله لأطفالها

وتمتد بحنو لتصافحني!

***

من عيوبكِ

أنك لا تحبين السكارى

وهم يعودون في آخر الليل

أنقياء كالأطفال.

***

تعالي معي

لأريكِ سماءً أخرى يتوهج فيها القلب

علقيها لطيورك

وامسحِي ثناء أولئك، بأكمام قميص البارحة
ساعة تجرجرين البحر وترمينه على سريري .
***

خذي مقصاً صغيراً
ومن حاشية شغفي بكِ
اصنعي سرب فراشات واطلبي منها
أن تُحلق بمستوى ركبتيكِ
كل يوم
وأنت تذهبين للمقهى، للأصدقاء، للشعر.
***

عما قريب سينتهي كل شيء
وسأتذكركِ كحربٍ مرت من هنا
مرت على القلب.
***

وحيداً
في صحراء غرفة النوم

أقف أمام المرآة

أتمرن على احتضانكِ

كل يوم .

***

كل هذا الحب الذي كدسته في غيابكِ

هو لكِ وحدكِ.

***

والآن

بعد أن انفض من حولنا كل من نحبهم

ماذا سنفعل بهذا الحب

الذي لم يعد يصلح لشيء.

***

من قال أني وحيدٌ؟

اليوم

رأيت يدي اليمنى تصافح يدي اليسرى

وأنا بينهما

صديقٌ ثالث

فمن قال أني وحيد؟

***

لا أثر لأحدٍ كي تقتفيه أيها العابر.

***

طُويتْ سماواتك فماذا تنتظر؟!

امسح كل أثر

احزم ذكرى نساءك

احزم يديك كي لا تلوح لأحد

بعد الآن وأنت تغادر.

***

اعصر قلبك بكلتا يديك

ودعه يتساقط غيمةً غيمة

فوق مودات كُثر تركتها هناك

يحرسها تمثال من ملح يقف وحيداً لا يردُّ على أحد

بعد أن خرجت بحفنةٍ من أسىً.

اسمي حائطٌ قديم وقد حفظ كل حنانكِ
لكن أين أنتِ الآن؟ !
كل ما كتبته بعدكِ في هذا الخواء الغزير
ما هو إلا مسودات للندم الذي أينع مبكراً .
***

مضرجاً يسقط عند باب الغريب
طائر المنفى يلطخ بياض القصيدة .

يوم عائلي

أطرق على

باب قلبك منذ زمن

ألَم تسمعي

روحي وهي تتلو جمالك

في صلاتي؟

تعالي...

خذي غيابك المر

كله

وأوصدي خلفه الباب.

***

اندلقت مهجتي

وتلطخ قميصي

شوقاً إليكِ .

كنت مصطفاً

مع الحشد على الرصيف

عندما كنت تمرين

مزهوةً بالأنوثة

سقطت

قطرةٌ من روحك

على روحي سهواً

ففاضت روحي.

***

نلم بعْضنا

نتهجى رغباتنا الصغيرة

التي سالت على قمصاننا

واستطالت صفصافَ حنين

كم ركضنا

في العشب المحاذي لساقيكِ ...

***

كنت ألهث

عند ضفاف الخاصرة

عندما عبرت غابة الياقوت

كي أَقطف وردة النهد

المبارك بسمو الآلهة.

***

مازالت تقطن

هذا القلب

وتحتل حدود الروح

وأنا أتمطى

بدفء أنوثتها

مثل هِرٍ كسول.

***

أُعلق قبلاتكِ

على مسامير الحائط

قبلةً

قبلة

و أتقرفص تحتها

مثل بوذي مخطئ.

***

كفى أيتها الرُّوح

لقد مضت...

أغلق بابك الآن أيها القلب

فلَم نعد ننتظر أحداً.

ليلة واحدة في عدٍّ البراغيث

أعرفكِ

لا وردٌ ينمو على تضاريسكِ ولا موجٌ فيك يتعافى

و بيدك التي أومأت لي مرةً

ستمد بوردة آسٍ ذابلة

وأنا العابر ليلتي في عدِّ براغيثها.

وعـــــول

من منابعِ أغصانكِ حيث نصاعةِ أديمك و رذاذُ أيامك العامرة، كفي سريرٌ لوعولكِ الجامحة، حين تطلقين فراشةً أعلى فخذيك تحلق في حدائقكِ الوثنية...إني أسمع لهاثاً موجهاً وهو يرتطم بالزوارق ... تغسل المرأة ما تركته الحوافر في مراعيها، وتنشر الجسد معلقاً فوق حبل الغسيل .

الرجل البتول

من تحت السرة

يذوب شتاء، ويدحرج رغباتكِ في زورق إلى ضفة أخرى، أطول ذراعيكِ يرفع أيام العزلة؟ وحدك كالشوك مدمىً بلهفة غريبة، بهذا الضوء في وصول أصابعكِ، أنصت إليكِ كثيراً وأقف كي أكرركِ، باسمكِ المبارك أيتها المرأة،

يا نجمةً مأخوذةً بالبحر، اكشفي لنا سر الديمومة، نحن أبناء المد، قذف بنا العطش عند أعتاب حدائقكِ، نكشف أمام ناظريك عن (خصانا النحاسية) التي أكلها الصدأ، لكن الرجل الوجل يقف مثل ديكٍ وحيد، اهبط الآن ودوّن تاريخ الوحدة، والنجمة التي غادرتك ليلة البارحة وقبل إن تحتضن الشواطئ مراكبُ أخرى خاسرة .

برارٍ

من ضفيرتك الناعسة فوق كتفك

إلى سفوحِ ردفيكِ

سعيد

كل من يحلق في براريك .

امرأة أُخرى

هزي إليك بنياط القلب

تتساقط عليك

أعقاب سجائر

وقناني خمر فارغة

وقصائد مستعملة

وحماقات

وقبلٌ باهتة

لامرأةٍ

غادرت

قبل مجيئكِ .

سماوات مكررة

إلــى ..

منى كريم

دخيل الخليفة

نهارات

قلبك كان الرجاء كله وكل الوحشة كنت، وها أنت بلا قرابين تتهدل، ولم تترك قلبك مرةً عند باب من أحبك، معاً كنا، لا يدٌ تلوح الآن ولا إصبع واضح يشير إليك فقد مضى الآخرون في نهارٍ رطب، رأيتهم يعبرون ولم يتركوا وجوههم تحيط بك، يا للنهاراتِ الغريبة التي تنحدر ، تخدش أول الأرض وآ أسفاه ...

يسيل دم القصيدة
من جيب قميصي

سكرنا ...

ثم تذكرنا بلاداً حبلى كل يوم، ويسقط حملها مسيحاً ميتاً، في النهار تعوي على بنيها، وفي الليل يغتنمها اللصوص، القتلة، الغرباء ولابسو أحذية الروغان

ومن القبلة المتأخرة التي لا تنفع الموتى، صوتاً واحداً مدوّا للطعنة ويغلق خلفك الباب، كل يوم أنا وحيدٌ مثل قبرك الذي أمسى بلا زهور ولا شاهدة، فأي العيون ذكرتكِ الآن كي يسيل دم القصيدة من جيب قميصي، أيتها البلاد سأغنيكِ كثيراً، وأناديكِ بعدد البنادق الملثمة التي تحرس غرفة نومك وأترككِ يا حقلاً للأسى، سأدون ألواح فجيعتكِ بمسلةٍ طويلةٍ معلقةٍ على عتبة روحي مع أسماء الذين غادروني مسرعين لعزلةٍ بعيدة .

مزمور للطمأنينة

تيممي بدمي اليابس فوق عتبة بابكِ
واسجدي في فيضي
واتلي ما تيسر من محبتي فيك
ثم اطمئني .

مارغريت حسن

إلى روح مارغريت حسن مديرة منظمة كير الإنسانية

عميقاً كان جمالك

ونحن

نرمي إليكِ أمنياتنا وندلوا كي نلمس ضفافك ويرجع دلونا فارغاً مثل كل مرة

عميقاً كان جمالك

ونحن

من خلف زجاج الروح نعلق أمنياتنا على أعمدة الجسر ونغني إليك، يا طير الروح .

عميقاً كان جمالكِ

ونحن

الندم المر الذي يسيل من فوق المصطبة

ويغطي الورق المتساقط من صفصاف غيابكِ .

صفصاف العبيد

أيقظني نواح مُرٌ من قاربٍ مرَّ قربي، دماء البلاد على قمصاننا تسيل، تُرى من منا ينسى الآخر أنا أم أنتِ؟ كمحطة قطارٍ لا تتذكر أي علامة فارقة للوجوه التي تعبر وتمجيداً للزحام، تمرين، يلامس كتفكِ كتفي بلا مبالاة لقد اقتسمنا موتنا اليومي وعلقنا تمائم لذكراكم. كنا مثل أغنيةٍ حميمةٍ انتهت ولم يبق منها غير مراكب التصقت بقاع النهر، هل تصفحت الوجوه الأخيرة وتلك الأصابع التي تشير نحوك؟، أننا نعود منتصرين كما نظن إلى المكان الذي انهزمنا فيه .

بغداد

تابوت
نسيته الملائكة مفتوحاً
لحد الآن لم يغلق.

فراشة ظن

تقف فراديسكِ كنجمة من دم

تضيء خواءً

ونحن نغادركِ كهامشٍ منسي

انتظرتكِ كثيراً عند جدار القصيدة

وكنتِ فراشة ظن تتصاعد مع دخان قامتي

لوحت لكِ بيدي الممتلئة بالعراء

وتلك المحطات التي ابتلعت وجهكِ

تركتنا، نحن الذين رأينا كل شيء

ولا شاهد غير دمائنا فسبحانك أيها الدم العراقي المطارد

فلا دم في هذه السماوات إلا دمك.

فاطمة

1

أوقفني مرة في (باب المعظم)
وكنت محموماً أبحث عن فاطمة
أتأبط سجادتي
فقال احذر
لئلا يشموا رائحة المحبة فيك
ثم قال لي: تذكر بأن فاطمة في كل الوجوه
فامنح كل من يمر قربك وردة
إلا الأحياء فأنهم لا يملكون فتنة الموت.

2

على دكة عالية تطلُّ على قيامتنا
أقف ... وقميصي يقطر وجداً
أرى فاطمة

في آخر انفجار بـ (كرادة مريم)

توزع البشارة على العابرين من الموتى

3

رأيته مرةً في (الباب الشرقي)

فحيّاني

فقال لي: فاطمة في القلب.

ثم أدبر يلفه الهجير

وبعد أكثر من انفجار

التقيته في (ساحة التحرير)

قال: فاطمة ستبقى نجمةً عالية

فاطمة غصنٌ أخضر.

ثياب الأمهات

أمي

أين اختفت مياه يديكِ وبساتينها

أين ذاك البهاء؟

كنت ذلك الطفل البعيد

العالق بثياب الأمهات وبالجنوب

كل ما تبقى

ندبٌ زرقٌ في القلب

لا تعني أحداً

سواي .

الطائر الوحشي

احتويتك دائماً بزعانفكِ الحادة وقلت لكِ علناً في ارتفاع العزلة أنكِ نشيدي الذي أردده كل يوم في ممرات حنجرتي اليابسة وكنتِ مخلصةً بأشواككِ هكذا أنتِ دائماً، قلبٌ شديد الضباب وغير مدجن.

كانت لك نوافذ تفتحها أصابع ملونة الأظفار و يدان تشمان تعبك، كم أنت غريبٌ الآن ... ووحيد، تعال هادن عاصفتك.

سأطلق جناحيّ إلى سماواتٍ زرق محلقاً هناك، لا يعنيني الزحام اصطدم بنفسي أكثر الأحيان، أنا طائرٌ وثنيٌ مكابرٌ وجل لا أؤمن إلا بكِ.

(أعمىً يقودني إليكِ) على ضوء صلاتكِ وكنت أدحرج أمنياتي التي لم تعد صالحةً في جلال العراء بعد أن تركت باقة ورد عند الباب.

هذا ما احتوته الأصابع من برود المصافحة وما أنجبه وعاء الوجوه من الأسئلة حينما تمرين وحيدةً من دوني.

بيتك أيها الحي

من أجل تلك الأيام الأكثر نصاعةً من وجوههم
من أجل طوابير الموتى المنتظرين خلفي
من أجل الغيوم التي تغيّر مسارها عندما تقترب من صحرائي
من أجل كل الجهات التي رفضتها ورفضتهم
سرت بلا هدىً حتى وصلت بيتكَ أيها الحي.

برارِ الملوك

1

نقف شاحبيّن على هاوية مسراتنا الدامية

وأمام بوصلةٍ فيها أكثر من بندولٍ نتساءل

أي اتجاه يؤدي إليك

أي اتجاه؟

2

برارٍ تنزُّ بدم السلالات دم الضحايا

هل أيديكم التي أحاطت بالمقاصل

أم أيديكم منفىً للصفع وسكيناً للوريد؟

غيري يزكي نفسه بجنرالات قتلى

وقبره ضيق

والموت صقرٌ مهيمنٌ على البراري.

3

بغداد نهدٌ عاهرٌ يتدلى لكل فم [1]

رايتك تسقي ورد الآخرين وتدوس على وردك

كنا نهرع إليك، نستعين بوجهك

نرصف أوردتنا العليلة ونطوف حول رقادك

مسربلين بالدم وبالشوق وبالشتائم بعد أنأيتنا عنك

على دكتك نقف الآن نحن الجموحون جداً ما أحوجنا

إليك أيها الوطن الوحيد.

[1] في فترة التسعينيات من القرن الماضي، أقدمت الأجهزة الأمنية في بغداد، على جريمة طرد عمال مدينة الناصرية ، الذين كانوا يعملون في العاصمة بأجور زهيدة ، لسد رمق العيش تحت وطأة الحصار الجائر على العراق ، حيث لم تكتفي الأجهزة المذكورة بطردهم بل أخذت تلاحقهم إلى الفنادق الرخيصة الرطبة ، التي كانوا يقيمون فيها، وترك فرص العمل للعرب المقيمين في العراق.

ثناء متأخر

إلى / سنية الفرجاني

مرة أوحى لي غراب روحي
أن آخذ بيد كل من أضلّ باب الحانة
حيث عشاقكَ الهائمون بك كُثر
هناك الفناء بمحبتكَ
أنتَ الجدير والرحيم ونحن صلصال يديك
قلتَ لنا: كونوا، فكنا عشاقاً بخمرتكَ.
في هذا الزمن الرخو، كن كفؤاً بمن تحب
فنحن محض مصابيح صغيرة
نغفو في قلب الله، سعداء بلا تردد ...

أيها القلب، يا ألماً يا أنقاضَ قرية
لدي امتنانٌ أو ثناءٌ متأخر لصديقٍ ما
وسعياً من أجل اخضراركَ، أقتفيكَ

محتفياً بصلاتي إليك
ومع اسمكَ حيث تضاء المدن بحروفه
لا بمصابيح سرايا المارينز اليدوية
أغسل عتبة بابكَ بالشوق وأغنيكَ الليل كله.
صلِ لي فإني صليت لك .

سماوات مكررة

في يدي ندم كثير وقرابين وشتائم تساقط بعض أطرافها، ستمر علينا سماواتٌ مكررة تسيل، ممتلئةً بغربانٍ هرمة ووجوهٍ مطفأةٍ مثل فنارات سفن، ووشاياتٍ، وآلهةٍ هجينة، وحزنٍ من سلالات دونية، وحده عابراً مثل حصان قديم يتذكر براريه، يتذكر مجده القصيّ وخسرانه أيضاً ، مستفزٌ كهدنة هشة ذلك القلب.

شجار عائلي

احتجاج

أطالب بإطلاق سراح الموتى .

سديـــــــم

كل ما يحدث الآن في غيابكِ:

قصائدي تغيّر لونها كثيراً، ثم تساقط كورق الصفصاف فلا تصغِ لأحد، أصغ لقلبك مرة واغفر له كي يغفر لك، لا تتركه وحيداً مثلك، صافحه الآن، عانقه طويلاً كي تكونا معاً أنت وقلبك، غنِّ له وحده كي يغني لك وحدك ، لا تصدق عينيك إذ تحدثت عن ريشك الذي فقدته في آخر نزال مع عاصفة ولاعن الذين مروا بالحانة وركعوا تحت وردة فمها مبتهلين لذلك ، أنا محصن بخضرة روحي وسديمها ، فكلما أكرر إسم من أحببت تنبت وردة في حنجرتي وأخرى على قميصها .

بــــــــلاد

صافحتك أنتِ التي تشبهين البلاد
فامتلأت يدي رماداً
فكررت اسمكِ
مثل غريق يسمع عواء محبيه البعيد .

نخاع الفراشة

تبرير/

يا بساتين المودة تتعفن وردة الشوق في الضحى، كان لكِ قلبٌ غير هذا، هكذا يقول الذين مرّوا عليه، فكيف تبخّر ذاك الشغف؟ لم يبق سوى نخاع الفراشة وعمودها الفقري، ونجمة أبعد من سقف الغرفة، كنا نرى دموعها كل ليلة وكنا نصغي لكِ لأنك ثمرة في أبدية هذا العالم الحيّ، كنتُ عابراً، لا يعنيني أحد. يدي بيد قصيدتي .

ترويض طائر غرّ

الكتابة عن طائر غرّ فرّ من روحي وضاع باتجاهكِ، وعن الشرخِ الذي ظهر في جدار المحبة بعد غيابكِ، لقد تركت سرباً من النمل يزحفُ على قصائدي القديمة التي لم أذكر فيها اسمكِ ... الكتابة عن العابر و الخارج تواً من البحر...يا قلبها الطفل، اشعل شمعةً لاستقبال قصيدة. كل يوم أتصفح التقويم وأشطب يوماً جديداً من غيابك، وأرى روحي وداً مركوناً. الكتابة عنكِ من أجل اصطياد أيام قادمة، ونثرها على الذين يعبرون باتجاهكِ. كنت معلقاً و مضاءً بالشوق كعمود نور، أيامي فراشات أبيدت على جبينكِ، هناك مبررات أخرى وكثيرة كي نبقى معاً، الكتابة عنكِ إنصات إلى رمالٍ كثيرة وهي تخرّ من جيوبي تلك التي سميتها آمالاً ، يدكِ الآن غصن من شجر الحسرة، و الكتابة عنكِ وعني وعن المياه التي انحسرت فترة طويلة من

أصابعكِ ، أكتب عنكِ الآن ، المكان الذي اختلفنا فيه ، تمت إزالته من سنوات ولم يبق سوى خلافنا ، أكتب عنكِ لأن الشوق وجع أزرق نتحمله على مضض .

مـــــــــراكب

تحدث الآن يا بدائي الدم :

عن قوافل من الموتى وعن سحب سوداء تشبه الخوف تتصاعد من قلبك ، وعن طعنتك من نفي أكثر وتفريط لما تبقى من بِرك طرية من صراخنا نعبرها بعكازتين وعن الذين يتراكمون في باب الأبدية ، أولئك قمل يتساقط خارج ماعون الله ، و نحيب عظامنا ، نحيب طويل لا ينقطع والوقت المجاور لقاماتنا مخالب من الرعب ... نحن أبناء الله مضرجون بدمه ، نحن حشود من الموتى العراة تمزق ثيابنا الريح ، ها نحن نقف عند ضفاف قيامتك ، والطريق اليك بعيدة ، ولا أحد ينتظر قدومنا سوى مراكبَ نصف غارقةٍ، لقد أريق دمك يا الله، لم يبق منك شيء، آه تصدع كل شيء...

فطر بري

نجمة تسيل، تعصر آخر أيامها كنهاية عند حافة طريق موحش لا أحد فيه سوى غرابٍ ينعق بين الرئتين، يحذركَ من حنين القتيل، نجمة خرجت من نخاع الموتى، تتكاثر كلّ يوم بنحيب طويل أدمنته الأشجار باتجاه بابك أيها الغائب، ساعة هطولك من فصولنا التي تنزّ، أراك ورداً للطرقات، تسيل مع بكاء الضحايا، هل رأيت أولئك الذين ينمون كالفطر، يجوبون المدينة يمجد بعضهم بعضاً؟ وهم مشغولون بتنظيف تاريخهم أمام جنرالات جُدد، والشهداء يعضّون على أصابعهم ندماً، أيتها النجمة العالية، النجمة التي تسيل من أجلنا، كان لكِ مجدٌ فقد وصلتِ الآن بلا زيف وبلا أجنحة، أنتِ بلا صراخ، لا غيوم في قدومك لا أصابع تشير إلى الموتى سوى الردم، نحن هنا بتفسخ لانهاية له، ثمالة بمن نحبهم .

من أجل ترميم شتاء الموتى

ليس شرطاً أن تشفي الحقيقة روحاً مجروحة.

مكسيم غوركي

القبر حاوية الآمال وأبشع ما فيه، هو أنك بلا صديق، ووحيدٌ بلا شمعة، لا تعرفك المواسم ولا يعرفك الآخرون / هكذا تقف أمام واجهات الصباح الزجاجية، تتفَرس في وجهك المسرات كلها من دون اقتراب منك/ أنا الطفل/ ورد الشرفة المنسي بغياب الأم/ أنا الطفل حنظل السطر و ذباب أخطائي الإملائية في فم القصيدة، من أجل اخضرار روحي من أجل تلك المصابيح التي هناك، مصابيحكِ أنتِ، وكر للفراشات أنتِ ... مُري الآن على روحي فقد تركوها منذ أول الدفن، من أجل شتاء الموتى الأكثر اتساعاً من عراء،

القبور ندبُ الأرض المتقيحة والغريب يمرّ على الغريب ويخبره بأن خلفه غرباء يحملون ناراً لدفء العالم.

يأتون محملين بالثأر، يعبرون النهر بخسائرهم...لا ينتظرون إشارةً من أحد، يلاحقون شمعةً بعيدة للخلاص، شمعةً تأخذ شكلَ النصل باتجاه شتاءك، متلفتين إلى صورك الأخرى، أيها الوجه الشجاع يا وجه الضحية المهابة: جمجمة القاتل رأيتها تدار على جمجمة المقتول.

ـ إنه شجارٌ عائلي لا غير.

ـ إن ما قلته محض هراء أيها الصديق ... كنا فصولاً من دم الضحية رغم أننا نصل عميقاً في سرة الأرض.

أبـــــواب

تنام المدن الملطخة بالدم، تغطُ في شخيرها تحت سماء تنزف رصاصاً وجثثا، هناك حيث تنبت أغصان الموتى ويلوحون لنا من جديد ويتذكرون أن للعتمة دماً أسود وللنهار وجه الله وعصافير كثر ولقلبكِ قلبي. بلادك التي في البراري قد هجرتها الطيور ونجمتك المنخفضة ما زالت تسيل على أبواب كنا شغوفين بها . لروحي نوافذ كثيرة تطلّ عليك وفمي ممرقديم أدمن اسمك وأنا الطفل بلغت عتبة الخمسين لوعةً. غيابك عواء في رئتي ، وقطيع فئران كريهة، يركض في دمي، غيابكِ يمضغ أطرافي، غيابك قيامتي...سيذر هذا الحنين ويتبدّد، وأنا ممسكٌ بحاشية البيت سأحظى بوردة الملح من دونهم .

مساء مكتظ بكِ

مختلاً كان القلب عندما ترك وردة بيضاء تشبه روحي على شرفتكِ المغطاة بخيوط العنكبوت، في شجارنا الأخير، كانت اللغة الدامية، اللغة المشروخة، تتطاير فوق رؤوسنا . هكذا غادر كلانا الآخر، أنا هنا ليس أكثر من نشيج، عاشق عند شرفة العالم، مبتلٌّ من الركض خلف خطأ ليس لي. عندما مرت عربات الملائكة كان العالم أخضرَ قبل خلق الطغاة، لكن حشداً من أحذية (الروغان) دخل الصالة وداس على ضفادع صغيرة كنا نتقيؤها يومياً على أسرتنا ، ضفادع لزجة تُشبه وجوهاً كنا نراها على شاشات التلفاز أكثر من ثلاثين عاماً . لا تطلْ في إجابتك أيها العابر، هكذا نسقط غير مأسوف علينا مثل أسرار تنسكب وسط الشارع من كيس الأسرة الحميم . هل نتعافى مرّة أخرى ونعيد من يحبوننا ؟

الصباحات تفتح كلّ النوافذ إلا نافذة من تحبه

ـ : يا قلب ما معنى أن ترفضك امرأة؟

ـ : ماذا؟

ـ : لا شيء أيها الأخرق ... لا شيء

كانت الوردة تأخذ شكل الفم في صباح متثائب، مع تهدّلٍ في الشفة السفلى هذا ما يتركه الجنود يوم توديع زوجاتهم ... طعم تفاحتي ما يزال بفمي، والوقت جرح بغياب امرأة، في المساء المكتظ بوجودكِ...كوني كما تشائين يداً رقيقة أو نافذة مغلقة، فأنا آخر غصنٍ أخضر بلا طيور من شجرة حمقاء عريقة .

نصف مغفرة

وآ أسفاه

هذه مودتي بعدما رُدتْ إلي، عراء ضلالتي، وندمي المرّ، وصندوق قديم فيه نواياي، باقة شوك لروحي الوحيدة، وحيدة كقبر، حقلٌ من الورد لكِ، هذه بقع من مسراتكِ ورذاذها، نقياً كان القلب، هل يمكن أن أسحب يدي وسط مصافحة ندماً؟ هل يمكن أن أخلع هذا القلب وأرميه؟ كلما يراها يقفز بـ صباح الخير وهي مشغولة بصباح آخر، لمَ خطأي بنصف مغفرة؟ هكذا أنا مرتبكٌ كحرب، فارغٌ كقنينة خمر كانت ممتلئة بالفرح قبل قليل، ناحلٌ كأغنية بعيدة، مذهول كعلامة استفهام في نهاية سؤال مرير.

اليّم

اللهم هذا عراقك

حديقتك الأولى

سبحانك

إنّ صديداً غامضاً ينسكب الآن

من رأس العالم

ونحن مثل زورق يحمل عزيمة موتى

نندفع عميقاً في اليّم

يا لجحيم ما ارتكبناه .

قبور مفتوحة

توطئة /

لتكن القبل كثيرةً هذه الأيام وكذلك العناق، للظهيرة أعياد أخرى، بعضها صوتكِ، لكن العالم مستفزّ ووعرٌّ حيث يتدلى في عزاء مرتبك...

على وجهٍ نحبه، وجهٍ غاب طويلاً، تهجى اسمه غرباء المدن ، له في كل يوم دمعةٌ، تسقط من شرفة لا أحد فيها،

ثم صار دخاناً ملقىً فوق القصائد، دخاناً مخنوقاً بالنحيب، لا مجد لمقصلة، لا تصدّق ما يقال لك ... لقد كانت الحياة هناك، ونحن ننظر إليها بترقب شديد، نحن فقط قبورٌ مفتوحة نحو الوطن، حيث وجوهنا حرب ثم حرب ثم خراب بلا فاصلة .

القصيدة /

ما نبتغيه الآن أن نكون معاً قبرين وحيدين لا أحد يتذكرنا

ربما يمر بنا قطيعُ أحصنةٍ هرمة ولا يترك سوى روث على قبرينا .

أغنية المتأخرين عن بيوتهم

يتركون القلب يقطر ألماً على أقدامنا، مدانون أولئك الموتى، حيث الجثة التي أدبرت، رأيتها ترفع يداً مضرجة بالشتائم ثم أهدتني دمعةً فأهديتها دمعتين. سر وحيداً، وثق بجناحيك فقط أيها المطعون بهم، لا رسائل تؤويك، أعرف أني قد أتعبتكُ كثيراً أيها القلب، وقبل أن تنهض لتكرار أغنية المتأخرين عن بيوتهم، واحتفاءً بنسيانهم، أولئك الذين لا يصلهم البريد...
تذكرناهم واحداً واحداً.

أحزان تيد هيوز

لست حيادياً بما يكفي طالما يستدير القلب بمرارة، لا وردة في الطريق تشير لسريركِ، لا عناق يكفي، ولا يد تدفع عاصفة، لا أحد يستدعيكِ الآن سوى روحي عسى أن تضعيها أغنية لفمكِ، لازلت ذلك الأعمى ذو القلب المضيء متلمسًا لون أحمر شفتيكِ، ومنحدراً إلى أقصى الحقول، آسنةٌ هذه الأيام بدونكِ. إنه الشعر بعده، لا قرىً ملونة تلوح لنا من بعيد، أحمل غراب موتي تحت معطفي في ليل لندن، يا سيلفيا لا تكترثي في تلعثمك، هناك قبر يشير إليكِ، أسمك هو. هل جثوتِ على ركبتيكِ وتأملتِ في عمق الهاوية؟ هل نجحتِ أخيراً في اصطياد زنابق الموت اليانعة وهي تُريق دمها؟ تركتِ حزناً ينزّ، الأجدر بك أن تمسحيه كما كنت تفعلين دائما مع القبل بعد عناق طويل، في استراحاتكِ القليلة من الشعر .

بياض طائر الندم

نحن الذين ارتطمنا بفمها صدفة، أنا وأنت والآخرون و كم كنا مجحفين لأننا لم نحسن شكر الله، عشاق وصيادون نحن ...

هل أخطأت عندما قبلت وردة قلبكِ، هل أخطأت؟

سؤال كخواء ضرير يتذكر غبار خيوله ...

سأغني الآن، عراؤك أيها القلب وأنت ترنو للذي يندلق من بين يديك... اغلق بابك الآن ودخن، نحن جرحان ودمعة واحدة تسقط من ألبوم الصور...فما بك تتلفت؟ مرّغ روحك بالشعر أيها الطفل وقف وحيداً ويدك عالية تشع بالخسارات، وها هي روحي موحشة كضريح هجره المؤمنون، كنت صادقاً، ووحيداً كجدار متآكل، طوبى للذي يقف قوياً كهزيمة راسخة، لكن القصيدة تهوي وأنت تصغي لارتطامها، ما زال دم ذلك

القلب يتكاثر أسفاً، وعارياً تماماً، لا شيء فيه ما يغيظك سوى بياض طائر الندم الوحيد.

ورد أســــــــود

هناك حيث أنتِ في المطارات أو في الفنادق لا أحد يهتم بما تملكينه من حدائق هناك، حيث تيجان السكارى تخرُّ مع المطر، لكِ البحر بخرابه ولكِ الغريب بحنينه إن أعادته إليكِ التمائم، أثراً امتلأ بسوسن قصائدي أنت، لكنكِ عبرتِ يومكِ وكنتِ وحيدة كما الطير عابسةً تدركين ما آل إليه ريشك، مصغيةً كتلميذ نجيب لصوت السرير، وهو يقوم كقبر بعزاء يومي يهدر ما تبقى منكِ...وها أنذا وحيدٌ أيضاً والقلب تغطيه ذكرى من رذاذ قلبك، أتذكر لون بنطالكِ وهو يحتضن ساقين مدهشتين، ومؤخرة صقلتها شمس أفريقيا؟!.

سبايـــــــــــــكر

في صباح لا ندين له بأي مصافحة:

الوقت المتربص بكَ قرب حوض الأخوة الآسن بالسفاحين. هناك من يرفع مدينته الملطخة بدمك متباهياً، ويتبع أبنائك إلى آخر السلالم، إلى آخر القيامة. أعرف ذاك... ذا الوجه المجوف، وهو يعرف اسمي الذي لا يزال يرافقني . البلاد التي أحبها كل يوم وأشتمها كل يوم، إنها تنمو قرب بابكَ. أيتها البلاد كان قلبك آفلاً مذ عرفتكِ .

مـــأزق

الهواء يضيق كل يومٍ وجناحاكَ أكبر من طموحِ زورق.

قفـــــار للقتل

مثل نافذة تغلق نفسها على ذكرى من حديث المحب القليل والوقت و هديره خلف غرفتكِ، حيث لا شيء يتكرر، لا ولادتكِ ولا بهجتي تدوم. كيف أدون،كيف أروي؟ هل أكرر أغنيةً مريرةً دليلاً على فقدانكِ، أو أراقب سنوات ثقيلة تعبر، كنت نبياً سابقاً وقد أتعبني الطواف حول رقادكِ، ومثل طمأنينة لا ينالها دمي، قبراً جماعياً يهرع منه الموتى كل مساء إلى طاولات الدومينو، مكاناً ضيقاً ممتلئاً بالخفافيش يرغمك على صداقة من لا تحبهم، مسوخ من فخار يغتنمون نهدكِ الفتي، دماً أسود على وسادتكِ كل ليلة، ربما يحتضر طائرٌ في روحكِ، زوارق ننتظرها في هذه القفار، حيث اسمكِ يردده أسلاف كثر في الطرقات، وأنا أرتجي يدكِ مثل عتبة منفىً دافئة. اسمكِ خيط دم يسيل على حائط غرفتي، عظام موتى مجهولين مع نجوم ملطخة بالدم تتساقط في أماكن بعيدة. صدعاً يكبر بين فمكِ و فمي

و نحيب ينبعث من كتفي، كان مهداً لرأسكِ، ثأرك الذي غطاه الصقيع لدم العتبة وقد صقلتها بمرور كتفيها المتكرر، هل نسيته؟ ستنسى إذاً وجه من أحببت، شيئاً فشيئاً ثم يختفي، ثم تنسى نفسك وتختفي .

نهاية

بكل ما تبّقى من الشجاعة، نعبر صوب ذلك الساحل الذي تطلُّ منه النهاية .

الفهرس

طفولة آدم